

مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jill



الأفعال الإلهيّة المقيّدة في القرآن الكريم، عند أهل السنّة والجماعة والردُّ على المخالفين

Restricted Divine Actions in the Holy Qur'an, according to Ahl al-Sunnah wal Jama'ah and respond to offender

مشاعل بنت خالد بن عمر باقاسي

أستاذ مشارك في العقيدة –كلية الدعوة وأصول الدين –جامعة أم القرى

Mashael bint Khalid bin Omar Bagasi

Associate Professor of Creed - College of Da`wah and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University

تاريخ التقديم: 2022/09/28 تاريخ ارسال التعديلات: 2022/06/12 تاريخ ا القبول: 2022/10/11

Received: 12/06/2022 Revised: 28/09/2022 Accepted:11/10/2022

ملخَّص البحث

عُنِيَ هذا البحثُ ببيانِ أحكام الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم عندَ أهل السنَّة والجماعة من حيث: معناها، وجهة الكمال في نسبتها، وحكم اشتقاق أسماء لله منها. اشتمل البحث على أربعة مطالب: أولها في ذكر قواعد أهل السنة والجماعة في باب الصفات، والثاني في بيان جملة من أحكام صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم عند أهل السنَّة والجماعة، والثالث في ذكر جملة من تفسيرات آيات صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن عند أهل السنَّة والجماعة، والرابع في مذهب المخالفين في باب صفات أفعال الله المقيَّدة في القرآن الكريم وإمكان دفع أهل السنَّة والجماعة معارضَ المخالفين إزاء الأفعال الإلهية. ترسَّم البحثُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ بتتبع كلام أهل السنة ودلالاته في بيان حقيقة صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم، منتهيًا إلى خاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات، كان أهم النتائج سلامة منهج أهل السنَّة في إثبات الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم، وحَيْدَة منهج مخالفيهم إزاء إثبات الأفعال الإلهيَّة.

الكلمات المفتاحية

صفات – الأفعال – الإلهية — المقيَّدة – القرآن.

Abstract

This research is concerned with clarifying the provisions of divine actions that are restricted in the Holy Qur'an according to Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah in terms of: their meaning, the point of perfection in their attribution, and the ruling on deriving the names of God from them. The research included four demands: the first of which was to mention the rules of Ahlus-Sunnah wal-Jama'ah in the chapter on Attributes, and the second to explain a group of provisions of the attributes of God Almighty's actions that are restricted in the Holy Qur'an according to the Sunnis and the group, and the third to mention a group of interpretations of the verses of the attributes of God Almighty's actions that are restricted in the Qur'an According to the Sunnis and the group, and the fourth in the doctrine of the opponents in the chapter on the attributes of God's actions that are restricted in the Holy Qur'an and the possibility of pushing the people of the Sunnah and the community against the opponents of God's actions. The research mapped the descriptive-analytical approach by following the words of the Sunnis and their implications in clarifying the reality of the attributes of God Almighty's actions that are restricted in the Holy Qur'an, ending with a conclusion that included results and recommendations. Evidence of divine actions.

Keywords Attributes - Verbs - Divine - Restricted - The Qur'an

Doi: https://doi.org/10.54940/si92707540

معلومات التواصل: مشاعل عمر باقاسي

Mkbagassi@uqu.edu.sa

المقدّمة

الحمدُ للهِ ذي الكمال والجلال في الأسماء والصفات، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى والنبي المجتبى، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتفى.

وبعد، فإنَّ قضيَّةَ إثباتِ صفاتِ الله تعالى تبقى من القضايا التي تباينتْ فيها مناهجُ الفِرَقِ تباينًا عظيمًا عنْ منهج أهلِ السنَّة والجماعة، ومن تلك الصفات الإلهيَّة صفاتُ الأفعالِ الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم؛ فإنَّ اللهَ تعالى أثبتَ لنفسه جملةً من الأفعال الدَّالَّة على بعض صفات أفعاله، كفعلِ (المكرِ)، و(الكيدِ)، و(الاستهزاءِ) و(المخادعة)، و(السُّخريةِ) وغيرها، فوقفَ النَّاسُ إزاءَها مواقفَ شتَّى، لمْ يسلمْ من الحَيْدَةِ والخروج عن مقتضى إثباتها إلَّا أهلُ السنَّة والجماعة، المعظِّمون للنصِّ، والوقَّافونَ عندَ دلالتِهِ الصحيحة؛ لإثباتها على الوجهِ اللائقِ باللهِ تعالى، منطلقين من قواعدهم الثابتة الرَّاسخة؛ لدفع ما قد يُتَوهَّمُ مناقضتُهُ أو معارضته من خلال دفعِ تأويلها، أو إمكان تشبيه صفات الله بصفات المخلوق، وإعمال العقل فيها، ودفع الكيفِ عنها؛ فإنَّ ذاتَ الله تعالى العليَّةُ من الغيب الذي استأثرَ اللهُ سبحانه بعلمِها عندَه، فلا يمكنُ إنسانٌ تصوُّرَ كُنْهِهَا وحقيقتِها.

إنَّ المخالفين من المعتزلة والخوارج والشيعة والأشاعرة المتكلِّمين ذهبوا إزاء الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن مذاهب مختلفة، قد تباينتْ كلماتُهُمْ ومناهجُهم، انتهَوْا جميعًا إلى عدمِ إثباتها إثباتًا لائقًا بأفعال اللهِ تعالى؛ بوصفِ أنَّ عقولهم لم تتجاسر على إثباتها.

لقد انطلقَ هؤلاء المخالفون جميعًا إزاء الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن من منطلق أهوائهم لنفي معاني المكر والكيدِ والاستهزاءِ والخداعِ والسخرية نفيًا مطلقًا؛ إذْ تواضعُوا على أنَّها أفعالُ نقصٍ يستحيل قيامها لله؛ فهي — في تصوُّرِهم – أفعالٌ تحدثُ في مقامِ ردَّةِ فعلٍ من طرفٍ إذا فعلَ طرفٌ آخرُ مقابلٌ ما يحملُ عليها الطرفَ الآخرَ انتقامًا وحنقًا وغيظًا.

جاء هذا البحثُ لبيان منهجِ أهل السنَّة والجماعة وموقفهم إزاء إثبات تلك الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن؛ بوصفِ القرآنِ أصلًا من أصول إثباتِ صفات الله ذاتيةً أو فعليَّة، منطلقين في ذلك من أصولٍ وقواعدَ تسلمُ بها طريقتُهم من الزَّيغِ والانحراف، وذلك من خلال التسليم للنصّ؛ كونُه أساسَ الإثبات وأُسَّه، ومن ثَمَّ بدفع تأويل النصّ؛ لأنَّه يصرفُ عن إثباتِ أفعال الله من جهةٍ، وبهِ يخرجُ النصُّ عنْ مقتضى حقيقة معناه، ومن ثَمَّ بدفع التكييف الذي يتصوَّرُه مخالفوهم؛ لأنَّ التكييف منتفٍ عنِ الذَّاتِ الإلهيَّة؛ لأنَّها غيبٌ، وما كانَ غيبًا لا يمكنُ العقل تصوُّره، ومن ثَمَّ بدفع التشبيهِ والتمثيلِ؛ إذِ اللهُ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيْرُ﴾[1]، ومن ثَمَّ بدفعُ نفيِ أفعالِ اللهِ وتعطيلها بناءً على القواعد الماضية.

أهميَّة الموضوع:

تكمنُ أهميَّة هذا الموضوع فيما يأتي:

1- أنَّ القرآنَ أصلٌ أصيلٌ في إثبات أصول الدِّين كلِّها، ومنها ما أثبتَه اللهُ لنفسِهِ من الأسماء والصفات والأفعال بلا مدافعة.

2- أنَّ طريقة أهل السنَّة والجماعة في إثباتِ صفاتِ الله تعالى الذاتية والفعليَّة، ومنها الفعليَّة المقيَّدة في القرآن الكريم هي المنهج الصحيح؛ إذْ سَلِمَ من التناقض والاعتراض والنقد والمدافعة، لذا وجبَ ترسُّم خُطَاهُ لتسلمَ عقائدُ النَّاسِ، ولا سيَّما عقيدة أسماء الله وصفاته.

3- أنَّ منطلقَ تبايُنِ وجهاتِ الفِرَقِ إزاءَ الإثباتِ أو النفيِ لأسماء الله وصفاته هو: العقلُ، والعقلُ لا يَسْلَمُ من القصور والانتقاد والاعتراض لأنَّه بشريٌّ مخلوقٌ أنَّ له أنْ يتصوَّرَ صفاتِ أفعالِ خالقِهِ وذاتُ اللهِ تعالى غيبٌ. كما أنَّ كلَّ فرقةٍ تنظرُ من منظورٍ خاصٍّ بها.

أهداف البحث:

1- دفعُ توهُّم النقصِ في الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن لمجرَّدِ ورودها في القرآن الكريم.

([1]) سورة الشورى آية رقم (11).

2- تحقيق سلامة منهج أهل السنَّة والجماعة إزاءَ أفعال اللهِ تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم؛ لسلامة أصولهم وقواعدهم وطريقة تعاطيهم في الإثبات.

3- إثبات قصور منهج مخالفي أهل السنَّة والجماعة تجاهَ أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم؛ إذ انطلقُوا من قواعدَ وأصولٍ لا تسلمُ من الاعتراض والنقدِ والدفع؛ لأنَّها مبنيَّةٌ على النفي والتعطيل والتشبيه والتكييف والتأويل، فضلًا عنْ إنزال أفعال الخالقِ منزلة أفعال المخلوق من المعاني البشرية المتصوَّرة لديهم التي تعاطوا عليها، وجعلهم العقلَ سيِّدًا وحاكمًا للإثبات أو النفي.

مشكلة البحث:

إنَّ قارئَ آياتِ أفعالِ الله المقيَّدة في القرآن منذ الوهلة الأولى ليظُنُّ أنَّ إثباتَها للهِ تعالى هو محضُ انتقاصٍ لصفاتِ الله وعدمُ كَمَالٍ لأفعاله. ممَّا يحملُ على السؤال: هل هذهِ الأفعالُ المقيَّدةُ في القرآن الكريم أفعالٌ إلهيَّة يمكن إثباتها؟ وما الطريقةُ التي عمدَ إليها أهل السنَّة والجماعة لإثباتِها ممَّا عمل على سلامة منهجهم من الانتقاد والاعتراض؟ وما الأحكام المترتِّبة على إثباتِ أفعالِ الله المقيَّدة في القرآن الكريم؟ وعلامَ بنى المخالفون منهجهم إزاء أفعال الله المقيَّدة في القرآن ممَّا حمل أهلَ السنَّةِ على دفعه ومخالفته بالنقد والاعتراض عليه والرَّد؟

الدِّراسات السَّابقة:

من خلال التتبُّع والاستقراء والسؤال لم أجدْ مَنْ طرقَ هذا الموضوعَ بالبحثِ أو الكتابة فيه برسالة أو أطروحة مستقلَّةً، سوى ما جاءَ من مباحثَ لأقاويل السَّلف في تفاسيرهم لآيات أفعال الله المقيَّدة في القرآن الكريم، فيذكروا ما يلزمُ من معناها على وجهِ الإثباتِ، ودفعًا لتوهُّمِ التشبيه، وكذلك ما يعرضُ له العلماء في مباحث الصفاتِ الإلهيَّة، وكذلك وكلام الفِرَقِ المخالفة في معرضِ تفسيرهم آياتِ أفعال الله المقيَّدة تأويلًا تارةً ونفيًا تارةً أخرى.

الإضافة العلميَّة في الدراسة الحالية:

أهمُّ ما تتميَّز بهِ هذهِ الدِّراسة وتُضِيفُهُ أنَّها جمعتْ شتاتَ ما تعلَّقَ بصفات أفعال الله تعالى في القرآن الكريم، ونقل كلامِ أهل السنة والجماعة في تفسير آياتِ صفات أفعال الله تعالى، ونقولات مخالفيهم؛ لبيان الفرق بين المذهبَيْنِ، وردّ أهل السنة على مخالفيهم.

تبويب البحث:

جاءتْ خطَّة البحث في مقدِّمةٍ، وأربعة مباحث، وخاتمة تتلوها مصادر البحث ومراجعه، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: في قواعد أهل السنَّة والجماعة وأصولهم في إثبات صفات الله تعالى: مثَّلتْ كلُّ قاعدةٍ مطلبًا من مطالب المبحث، فجاء المبحث في اثني عشر مطلبًا، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: قاعدة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو أثبتَه له رسوله صلى الله عليه وسلَّم.

المطلب الثاني: قاعدة تصديق الله في كلِّ ما أخبر به من ذكر صفةٍ من صفاته.

المطلب الثالث: قاعدة إثباتُ صفاتِ الله تعالى على مُرَادِ اللهِ إثباتًا يليقُ بجلال الله على فَهْمِ السَّلفِ الصالحِ.

المطلب الرابع: قاعدة صفاتِ الله – تعالى – كلَّها كمالٌ.

المطلب الخامس: قاعدة القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

المطلب السادس: القول في الصفات كالقول في الذات.

المطلب السابع: قاعدة باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

المطلب الثامن: قاعدة صفات الله توقيفية لا مجال للعقل فيها.

المطلب التاسع: قاعدة صفات الله – تعالى – لا يُطَّلع لها على ماهيَّة.

المطلب العاشر: قاعدة عدم لزوم مشاركة اللهِ تعالى في بعض أسمائه وصفاته المخلوقين في بعض أسمائهم وصفاتهم.

المطلب الحادي عشر: قاعدة الفرق بين صفاتِ ذاتِ اللهِ وصفاتِ أفعاله.

المطلب الثاني عشر: قاعدة إثبات أفعال الله تعالى المقيَّدة على مراد الله إثباتًا يليق بهِ تعالى على مقتضى لسان العرب ولغتهم. **المبحث الثاني: منهج أهل السنَّة والجماعة في إثبات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم:** وفيه بيان طريقة أهل السنة في إثبات صفات أفعال الله تعالى، مثَّلت كل طريقة مطلبًا من مطالب هذا المبحث، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: صفاتِ أفعالِ اللهِ تعالى عند أهل السنَّة كمالٌ بحال ونقصٌ في حال آخر.

المطلب الثاني: المعاني التي تدلُّ عليها أفعالُ اللهِ في القرآن الكريم ليستْ معانيَ كما دلَّتْ عليها أفعال المخلوقين.

المطلب الثالث: أفعالُ اللهِ تعالى كمالٌ إذا كانت مقيَّدةً.

المطلب الرابع: عدم إثباتِ أسماء لله تعالى منْ أفعالِهِ المقيَّدة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أقوال بعض المفسرين من أهل السنَّة والجماعة في تفسير آيات الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم: واختار البحث أقوال خمسةٍ من المفسّرين الذين مثّل كلامهم في تفسير آي صفات أفعال الله تعالى كلام أهل السنة والجماعة، كلُّ مفسّرٍ مثّل مطلبًا من مطالب المبحث، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: كلام الإمام الطبري (ت310هـ).

المطلب الثاني: كلام الإمام البغوي (ت516هـ).

المطلب الثالث: كلام الإمام ابن كثير (ت774هـ).

المطلب الرابع: كلام الإمام السعدي (ت1376هـ).

المطلب الخامس: كلام الإمام الشنقيطي (ت1393هـ).

المبحث الرابع: أقوال مخالفي أهل السنَّة والجماعة في تفسير آيات الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم: واختار البحث أقوال أربعة من مخالفي أهل السنة والجماعة في تفسير آيات صفات أفعاله، مثّل كل واحدٍ مطلبًا من مطالب هذا البحث، على النحو الآتي:

المطلب الأول: كلام أبي بكر البيهقي (ت458هـ).

المطلب الثاني: كلام القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ)

المطلب الثالث: كلام أبي بكر الرازي (ت604هـ).

المطلب الرابع: كلام الطاهر بن عاشور (ت1393هـ).

المبحث الخامس: مذهب المخالفين لأهل السنَّة والجماعة في أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم وردُّ أهلِ السنَّة مذهبَ المخالفين.

وفيه بيان مجمل لمذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في أفعال الله تعالى ورد علماء أهل السنة والجماعة مذهبهم.

منهج البحث:

ترسَّمتُ في كتابة هذا البحثِ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ، وذلك من خلال ما أوردَه أهلُ السنَّة من أقاويل إزاء تلك الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن لإثباتِ ما أثبته الله تعالى لنفسه مع بيانِ أحكامِ أفعالِ الله تعالى المقيَّدة في القرآن، وما ذكروه عن المخالفين إزاءَها وردّهم عليهم.

المبحث الأول: في قواعد أهل السنَّة والجماعة وأصولهم في إثبات صفات الله تعالى

انطلق أهلُ السُّنَّةِ والجماعة من جملةٍ من القواعد والأصول لإثباتِ عقيدتهم الصحيحة، ومنها عقيدة أسماء الله وصفاته، ومن تلك القواعد والأصول[2]:

المطلب الأول: قاعدة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو أثبتَه له رسوله صلى الله عليه وسلَّم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأصل في باب الصفات أنْ يُوصَفَ بما وصف به نفسَه وبما وصفَه به رسُلُه نفيًا وإثباتًا، فيُثبَتُ له ما أثبتَه لنفسه، ويُنفَى عنه ما نفَاه عن نفسه"[3].

ويقول أبو إسماعيل الصابوني: "أصحاب الحديثِ يَعرِفُون ربَّهم – عزَّ وجلَّ – بصفاته التي نطقَ بها وحيُه وتنزيلُه، أو شهد له بها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على ما وردتْ الأخبارُ به، ونقلتْه العدولُ الثِّقاتُ عنه، ويثبتون له جلَّ جلاله منها ما أثبتَه لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم"[4].

المطلب الثاني: قاعدة تصديق الله في كلِّ ما أخبر به من ذكر صفةٍ من صفاته؛ إذْ جميع نصوص صفات الله في القرآن من الأمر بالإيمان، وكلُّها صادقة، قال تعالى: (الم * ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ هُدًى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيبِ ويُقيمون الصلاةَ وممَّا رزقناهم يُنفِقُون * والذين يؤمنون بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)[البقرة:1-5]، وقال: (آمنَ الرسول بما أُنزِلَ إليهِ من ربِّه والمؤمنون كُلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نفرِّق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعْنا وأطعْنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير) [البقرة:285].

---

[2] انظر: التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية: 6-164، وبدائع الفوائد، لابن القيم (1/ 281 – 605)، وأقاويل الثقات في تأويل الصفات، للكرمي (ص69-79)، والقواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، للعثيمين (ص11-42)، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، للمغراوي (1/93 – 252).

[3] مجموع الفتاوى، لابن تيمية (3/3).

[4] عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (ص3).

المطلب الثالث: قاعدة إثباتُ صفاتِ الله تعالى على مُرَادِ اللهِ إثباتًا يليقُ بجلال الله على فَهْمِ السَّلفِ الصالحِ؛ فإنَّ السلفَ رضوانُ الله عليهم قد اختلفُوا في فهمِ بعضِ الأحكام الشرعيَّة، ولكنْ اجتمعتْ كلمتُهم وفهومهم على كليَّاتِ العقيدة ومسائلها، ومنها مسائل الأسماء والصفات، قال ابن القيّم: "وقد تنازع الصحابةُ في كثيرٍ من مسائل الأحكام، وهم ساداتُ المؤمنين وأكملُ الأمَّة إيمانًا، ولكنْ بحمدِ الله لم يتنازعوا في مسألة واحدةٍ من مسائل الأسماء والصفات والأفعال"[5]، وقال أيضًا: "تنازع النَّاس في كثيرٍ من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضعٍ واحدٍ، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها"[6].

المطلب الرابع: قاعدة صفاتِ الله – تعالى – كلُّها كمالٌ:

قال شيخ الإسلام: "والكمال ثابتٌ لله، بل الثابتُ له هو أقصى ما يمكن من الأكمليَّة، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقصَ فيه إلَّا وهو ثابتٌ للربِّ - تبارك وتعالى – يستحقُّه بنفسه المقدَّسة"[7].

ويقول ابن القيم: "صفات الله كلُّها صفاتُ كمالٍ محضٍ، فهو موصوفٌ من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكملُه"[8].

المطلب الخامس: قاعدة القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

المطلب السادس: القول في الصفات كالقول في الذات، سواءً بسواء.

وإلى هاتين القاعدتين أشار شيخ الإسلام ابن تيمية وعدَّهما أصلَيْنِ من أصول بيان مذهب السلف ومناقشة مخالفيهم فقال بعد أن ذكر مذهب السلف في الصفات أنَّه إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل: "ويتبيَّن هذا بأصلَيْنِ شريفين ... فأحدهما أن يقال: القول في بعض كالقول في بعض، فإن كان المخاطب ممن يقرُّ بأن الله حيٌّ بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبَّته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسِّره بالإرادة، وإمَّا ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له: لا فرقَ بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ... وهذا باب مطَّردٌ ... وهذا يتبيَّن بالأصل الثاني وهو أن يقال: القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإنَّ الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله"[9].

المطلب السابع: قاعدة باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأنَّ كلَّ اسمٍ من أسماء الله تعالى متضمِّنٌ صفةً، ولأنَّ من الصفاتِ ما هو متعلِّقٌ بأفعالِ الله تعالى، وأفعال اللهِ لا منتهى لها، فمكرُ الله واستهزاؤُه وغضبُه وفرحُه ومجيئُه وإتيانُه كلُّ يُوصَفُ بهِ على الوجهِ اللائقِ بهِ، من غيرِ أنْ نُثْبِتَ من كلِّ صفةٍ من هذه الصفاتِ اسمًا وإنْ أُخْبِرْنا عن أفعاله[10].

المطلب الثامن: قاعدة صفات الله توقيفية لا مجال للعقل فيها، قال الإمام أحمد: "لا يُوصَفُ اللهُ إلَّا بما وصفَ بهِ نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث"[11]، "وعليه يجب الوقوف في صفات الله تعالى على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزَادُ فيها ولا يُنْقَصُ؛ لأنَّ العقلَ لا يمكنُه إدرك ما يتسحقه تعالى من الصفات، فوجب الوقوف في ذلك على النصِّ[12].

المطلب التاسع: قاعدة صفات الله – تعالى – لا يُطَّلع لها على ماهيَّة، فيُدفَعُ عنها الكَيْفُ والتعطيل والتحريف والتشبيه، وإنَّما تُمَرُّ كما جاءت، قال شيخ الإسلام: "مذهب سلف الأمَّة وأئمَّتها أنْ يصفوا اللهَ بما وصف به نفسَه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريفٍ ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ولا يجوز نفيُ صفات الله التي وصف بها نفسَه، ولا تمثيلها بصفات المخلوقين"[13].

المطلب العاشر: قاعدة عدم لزوم مشاركة اللهِ تعالى في بعض أسمائه وصفاته المخلوقين في بعض أسمائهم وصفاتهم؛ لأنَّ أسماء الله وصفاته وأفعاله لائقةٌ بكماله وجلاله، وصفات المخلوقين لائقة بعجزهم وضعفهم؛ فلا لزوم لحصول الشبه والمماثلة. قال شيخ الإسلام: "فلا يقول عاقلٌ إذا قيل له: إنَّ العرشَ شيءٌ موجودٌ، وأنَّ البعوضَ شيءٌ موجودٌ، أنَّ هذا مثل هذا لاتفاقهما في

---

[5] إعلام الموقعين، لابن القيم (49/1).

[6] مختصر الصواعق المرسلة، للموصلي (39/1-40).

[7] مجموع الفتاوى، لابن تيمية (71/6).

[8] بدائع الفوائد، لابن القيم (168/1).

[9] التدمرية، لابن تيمية (ص31، 43).

[10] انظر القواعد المثلى، للعثيمين (ص32، 33).

[11] مجموع الفتاوى، لابن تيمية (26/ 5)، وأقاويل الثقات، للكرمي (ص234).

[12] انظر القواعد المثلى، للعثيمين (ص20).

[13] التدمرية، لابن تيمية (ص137).

مسمَّى الشيءِ والوجود؛ لأنَّه ليسَ في الخارج شيءٌ موجودٌ غيرهما يشتركان فيه، بل الذهنُ يأخذُ معنًى مشتركًا كليًّا هو مسمَّى الاسمِ المطلق، وإذا قيل: هذا موجودٌ، وهذا موجودٌ، فوجود كلٍ منهما يخُصُّه لا يُشركه فيه غيره مع أنَّ الاسمَ حقيقةٌ في كلٍّ منهما ... ولا بُدَّ من هذا في جميع أسماء وصفاته، يُفْهَمُ منها ما دلَّ عليه الاسمُ بالمواطأة والاتفاق، وما دلَّ عليهِ بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالقِ في شيءٍ من خصائصه"[14]، ثمَّ ذكر شيخ الإسلام أمثلةً لما سمَّى اللهُ بهِ نفسَه من أسماء سمَّى بها خلقَه، مثل: العليم، والحليم، والسميع والبصير، والرؤوف والرحيم، والملِك، والمؤمن، والعزيز، والجبَّار والمتكبِّر، ولكنَّ هذهِ الأسماء التي للهِ لا كالتي لخلقه، ومثْلُ أسماءِ اللهِ الصفاتُ كالعلمِ والقُدرةِ والمشيئةِ والإرادة والمحبَّة والرِّضا التي للهِ تعالى لا كصفاتِ خلقه[15].

المطلب الحادي عشر: قاعدة الفرق بين صفاتِ ذاتِ اللهِ وصفاتِ أفعاله؛ لأنَّ صفاتِ ذاتِ الله تعالى أزليَّةٌ قديمةٌ غيرُ متعلِّقةٍ بمشيئته ولا ضدَّ لها، وصفاتُ أفعالِهِ متعلِّقةٌ بمشيئتِهِ ولها ضِدٌّ، و"المعروف بين أهل السنَّة أنَّ صفاتِ الله تعالى قسمان: صفات ذاتيَّة، كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليدين ونحوها... وصفات فعليَّة، وهي التي تتعلَّقُ بمشيئته وحكمته، فإنِ اقتضتْ حكمتُه فعلَها فَعَلَها، وإنِ اقتضتْ حكمتُهُ ألَّا يفعلَها لمْ تكنْ، وهذا مثل الخلقِ والرزق والإحياء والإماتة والكلام والنزول والاستواء وغير ذلك من صفات"[16].

المطلب الثاني عشر: قاعدة إثبات أفعال الله تعالى المقيَّدة على مراد الله إثباتًا يليق بهِ تعالى على مقتضى لسان العرب ولغتهم؛ لأنَّ السلفَ لما سمعُوا القرآن وقد ذكرَ أفعالَ اللهِ تعالى أثبتوها؛ ويقول ابن قتيبة (276هـ): ''الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله حيث انتهى في صفته، أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نزيل اللفظ عمَّا تعرفه العرب وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك"[17]، و"حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حملُه على حقيقته، ومَنْ تأوَّله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوزُ إضافةُ المجاز إلى صفات الله تعالى"[18]، وكان لدى السَّلف "معلومٌ بالسمعِ اتصافُ اللهِ تعالى بالأفعال الاختياريَّة القائمة به، كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض، والطيِّ، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك. بل والخلق والإحياء والإماتة؛ فإن الله تعالى وصف نفسَه بالأفعال اللازمة، كالاستواء، وبالأفعال المتعدِّية كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم، فإن الفعل لابد له من فاعل، سواءً كان متعدِّيًا إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لابد له من فعل، سواءً كان مقتصرًا عليه أو متعدِّيًا إلى غيره، والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدَّى حتى يقوم بفاعله؛ إذ كان لابدَّ له من الفاعل، وهذا معلوم سمعًا وعقلًا. أمَّا السمع فإنَّ أهل العربية التي نزل بها القرآن، بل وغيرها من اللغات متفقون على أن الإنسان قال: (قام فلان وقعد)، وقال: (أكل فلانٌ الطعام وشرب الشراب) فإنَّه لابُدَّ أن يكون الفعل المتعدِّي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة ... ولو قال قائل: الجملة الثانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل، كما في الجملة الأولى، بل الفعل الذي هو (أكل) و(شرب) نصب المفعول من غير تعلق بالفاعل أولًا لكان كلامُهُ معلوم الفساد، بل يقال: هذا الفعل تعلَّق بالفاعل أولًا كتعلق (قام وقعد) ثم تعدَّى إلى المفعول، ففيه ما في الفعل اللازم وزيادة التعدي، وهذا واضحٌ لا يتنازعُ فيه اثنان من أهل اللسان"[19].

المبحث الثاني: منهج أهل السنَّة والجماعة في إثبات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم

من القواعد السابقة التي ذكرناها في المبحث الأول انطلق أهلُ السنَّة والجماعة لإثبات أفعالِ الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم، نتبيَّنُ في هذا المبحث منهجهم من خلال ما يأتي ذكرُه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: صفاتِ أفعالِ اللهِ تعالى عند أهل السنَّة كمالٌ بحال ونقصٌ في حال آخر، فلا يثبتونها بإطلاق ولا يُنفونها بإطلاق، بل تبقى – عندهم

[14] التدمرية، لابن تيمية (ص20-22).

[15] انظر التدمرية، لابن تيمية (ص22-30).

[16] من تعليقات الشيخ عبد الله بابطين على لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني (112/1)، وانظر شرح العقيدة الواسطية، للهراس (ص74).

[17] الاختلاف في اللفظ في الرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة (ص30).

[18] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني (446/1).

[19] درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (3/2-4).

– مُقيَّدةً، فإنْ كانتْ كمالًا ودلَّتْ على مدحِ لله تعالى فهي في هذهِ الحالِ تكونُ صفةَ كمالٍ مُقيَّدةً به، وإنْ كانتْ تدلُّ على نقصٍ وذمٍّ لله عزَّ وجلَّ فهي في حالتها هذهِ تكونُ صفةَ نقصٍ منفيَّةً عن الله عزَّ وجلَّ[20].

المطلب الثاني: المعاني التي تدلُّ عليها أفعالُ اللهِ في القرآن الكريم ولا سيَّما المقيَّدة منها ليستْ معانيَ كما دلَّتْ عليها أفعال المخلوقين؛ لافتراقِ ذاتِ اللهِ تعالى عن ذواتِ خلقه؛ لأنَّ أفعالَ الله منزَّهةٌ عنْ أن تكون كأفعال الخلقِ؛ إذِ الخلقُ يعتريهم النقصُ، فإذا جاءَ ذكرُ المقتِ والمكرِ والكيدِ والاستهزاء والمخادعة والغضب وغيرها من الأفعال التي أثبتَها اللهُ لنفسه في كتابه وقفَ إزاءَ ورودها أهلُ السنةِ موقفَ المثبتين المنزّهين؛ إثباتًا لأن الله أثبتها لنفسه في كتابه، وتنزيهًا لأنَّ اللهَ نزَّه نفسَه عن الشبيه والنظير والمثيل.

مثال ذلك أنَّ اللهَ "وصف نفسَه بأنَّه يمقتُ الكُفَّارَ، ووصفَهم بالمقتِ، فقال: (إِنَّ الذينَ كَفَرُوا يُنَادَونَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفَسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) [غافر:10]، وليسَ المقتُ مثلَ المقتِ.

وهكذا وصف نفسَه بالمكرِ والكيدِ كما وصفَ عبدَه بذلك، فقال: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكِرِيْنَ) [الأنفال:30]، وقال: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا) [الطارق: 15، 16]، وليسَ المكرُ كالمكرِ، ولا الكيدُ كالكيدِ... وهكذا وصف نفسه بالغضب في قوله: (وغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم) [الفتح:6]، ووصف عبدَه بالغضب في قوله: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) [الأعراف:150]، وليس الغضبُ كالغضب... فلا بُدَّ من إثباتِ ما أثبتَهُ لنفسِهِ، ونفي مماثلته لخلقه"[21].

المطلب الثالث: أفعالُ اللهِ تعالى كمالٌ إذا كانت مقيَّدةً، أي مقابلة[22]، قال ابن القيم: "إن الله سبحانه وتعالى يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده، وكيده سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون، والإملاء لهم حتى يأخذهم على غرة فإذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه ودينه كان كيدُ الله لهم حسنًا لا قبح فيه، فيعطيهم ويعاقبهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ومكره سبحانه بأهل المكر، مقابلة لهم بفعلهم عمل ممدوح لا ذم فيه وجزاء لهم من جنس عملهم"[23]، فَإذا كانت في مقابلة مَنْ يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنَّها تدلُّ على أنَّ فاعلَها قادرٌ على مقابلة عدوِّه بمثلِ فعلِهِ أوْ أشدّ، وتكونُ نقصًا في غيرِ هذهِ الحال؛ ولهذا لمْ يذكرها اللهُ تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق؛ وإنَّما ذكرها في مقابلة مَنْ يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال:30]، وقوله: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ * وَأَكِيدُ كَيْدًا) [الطارق:15-16]، وقوله: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِيْنٌ) [الأعراف:182-183]، وقوله: (إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء:142]، وقوله: (قَالُوْا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِيْنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:14-15]"[24].

ويظهر هذا جليًّا في قوله تعالى: (وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ) [الأنفال:71]؛ فقد نفى الله تعالى عنْ نفسه الخيانة وهي خدعة في مقام الائتمان؛ لأنَّها ذَمٌّ ونقصٌ؛ إذْ لم تكنْ مقابلة، فلمَّا لم يذكر صفة هذا الفعل (الخيانة) عُلِمَ أنَّها نقصٌ في حقِّه تعالى، فلمْ يُثْبِتْها[25].

المطلب الرابع: عدم إثباتِ أسماء لله تعالى منْ أفعالِهِ المقيَّدة في القرآن الكريم؛ فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الجملة أنَّه "ليس من أسماء الله الحسنى اسمٌ يتضمَّنُ الشرَّ، وإنَّما يتضمَّنُ الشرُّ مفعولاته"[26]، وذكر ابنُ القيم: "أنَّه لا يلزمُ من الإخبار عنه بالفعلِ مُقَيَّدًا أَنْ يُشْتَقَّ له منه اسمٌ مطلقٌ كما غلط فيهِ بعضُ المتأخِّرين، فجعل من أسمائه الحسنى المضِلَّ الفاتنَ الماكرَ، تعالى الله عن قوله، فإنَّ هذهِ الأسماءَ لمْ يُطْلَقْ عليهِ سبحانه منها إلَّا أفعال مخصوصة معيَّنة، فلا يجوزُ أنْ يُسَمَّى بأسمائها المطلقة"[27]. وقال أيضًا: "إنَّ الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق

---

(20) انظر: القواعد المثلى، للعثيمين ص (30)، والقدر المشترك في معاني الصفات بين أهل السنَّة ومخالفيهم، للقصير ص (26-27).

(21) التدمرية، لابن تيمية (26، 29، 30).

(22) انظر نعمة الذريعة في نصرة الشريعة، للحنفي ص (204-205).

(23) التحفة المهدية، لآل مهدي (62/1).

(24) القواعد المثلى، للعثيمين ص (31). وانظر القدر المشترك في معاني الصفات بين أهل السنَّة ومخالفيهم، للقصير ص (26-27).

(25) انظر القواعد المثلى، للعثيمين ص (31).

(26) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (96/8).

(27) بدائع الفوائد، لابن القيم (285/1).

على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم، وهذا جهل عظيم، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا، بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد. فكذلك بطريق الأَوْلَى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريدُ ولا المتكلِّمُ ولا الفاعلُ ولا الصانع، لأن مسمَّياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها، كالحليم والحكيم، والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر المخادع المستهزئ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي، والجائي والذاهب والقادم والرائد، والناسي والقاسم، والساخط والغضبان واللاعن، إلى أضعاف ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل"[28].

المبحث الثالث: أقوال بعض المفسرين من أهل السنَّة والجماعة في تفسير آيات الأفعال الإلهيَّة المقيَّدة في القرآن الكريم:

في هذا المبحث سأسوقُ جملةً من أقاويل الثقات من العلماء في تفسير بعضِ آياتِ صفات أفعال الله المقيَّدة؛ لتتضح طريقتُهم في الإثبات، وأنَّهم ماضُون على ذلك، وهي كالآتي:

المطلب الأول: كلام الإمام الطبري (ت310هـ): ذكر عند تفسير قوله تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:14-15] أقوالًا متباينة في تفسيره منتهيًا إلى قوله: "والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا، أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزَإِ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهراً، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الإسلام وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين إقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم، مع علم الله عز وجل بكذبهم، واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم، والله جل جلاله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام المُلحِقَتِهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم؛ معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وأشر عباده، حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل. كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم، وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلًا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء، وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين إلى أن ميز بينهم وبينهم، مستهزئًا وساخرًا ولهم خادعًا وبهم ماكرًا؛ إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل، بل ذلك معناه في كل أحواله إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره"[29]، وقال في (المكر) عند تفسير قوله تعالى: (وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) [الأنفال:30]: "وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ نِعْمَتِي عِنْدَكَ بِمَكْرِي بِمَنْ حَاوَلَ الْمَكْرَ بِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، بِإِثْبَاتِكَ، أَوْ قَتْلِكَ، أَوْ إِخْرَاجِكَ مِنْ وَطَنِكَ، حَتَّى اسْتَنْقَذْتُكَ مِنْهُمْ وَأَهْلَكْتُهُمْ، فَامْضِ لِأَمْرِي فِي حَرْبِ مِنْ حَارَبَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَتَوَلَّى عَنْ إِجَابَةِ مَا أَرْسَلْتُكَ بِهِ مِنَ الدِّينِ الْقَيِّمِ، وَلَا يُرْعِبَنَّكَ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّ رَبَّكَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ بِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ"[30].

المطلب الثاني: كلام الإمام البغويُّ (ت516هـ) قال عند تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِيْنِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:14-15]: "(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)، أَيْ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ سُمِّيَ الْجَزَاءُ بِاسْمِهِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ"[31].

[28] مختصر الصواعق المرسلة، للموصلي (2/745-746).
[29] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (1/315-316).
[30] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (11/141).
[31] تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للبغوي (1/68).

المطلب الثالث: كلام الإمام ابن كثير (ت774هـ): قال: "وقوله: (فيسخرون منهم سخر الله منهم) [التوبة:79] وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر بهم، انتصارا للمؤمنين في الدنيا، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابًا أليمًا"[32].

المطلب الرابع: كلام الإمام السعدي (ت1376هـ): قال عند تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [التوبة:79]: "(فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) فقابلهم الله على صنيعهم بأن (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير:

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي [هو] إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: "الله غني عن صدقة هذا" كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله -وإن كان غنيا عنهم- فهم فقراء إليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم"[33].

المطلب الخامس: كلام الإمام الشنقيطي (ت1393هـ): قال: "قوله تعالى: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيدًا) نسبة هذا الفعل له تعالى، قالوا إنه: من باب المقابلة، كقوله: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ)، وقوله: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ... وقد اتفق السلف، أنه لا ينسب إلى الله تعالى على سبيل الإطلاق، ولا يجوز أن يشتق له منه اسم، وإنما يطلق في مقابل فعل العباد؛ لأنه في غير المقابلة لا يليق بالله تعالى، وفي معرض المقابلة فهو في غاية العلم والحكمة والقدرة، والكيد أصله المعاجلة للشيء بقوة"[34].

المبحث الرابع: من أقوال مخالفي أهل السنَّة في أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن:

في المبحث السابق ذكرْنا طرفًا من أقوال السلف أهل السنَّة والجماعة في أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن عند تفسير بعض آيات صفات أفعال الله، وفي هذا المبحث سأذكر جملة من أقوال مخالفي أهل السنَّة في أفعال الله تعالى من خلال أقاويلهم في آياتِ صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة؛ لنرى الفرقَ بين المذهبَيْنِ.

المطلب الأول: كلام أبي بكر البيهقي (ت458هـ): في كتابه الأسماء والصفات قال تحت باب قول الله عز وجل: (قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) [البقرة:14]: "يقول المنافق للذين آمنوا: (أُنْظُرُوْنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُوْرِكُمْ قِيْلَ ارْجِعُوْا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوْا نُوْرًا) [الحديد:13]، وهي خدعةُ اللهِ التي خدعَ بها المنافقَ، قال الله تبارك وتعالى: (يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء:13]، فيرجعون إلى المكان الذي قسمَ فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم ... هذا من الاستهزاء بهم كما استهزأوا بالمؤمنين في الدنيا حين قالوا آمنَّا وليسُوا بمؤمنين، فذلك قوله: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:15] حين يقال لهم: (ارْجِعُوْا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوْا نُوْرًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ) يعني بين أصحاب الأعراف والمنافقين (بِسُوْرٍ لَهُ بَابٌ) يعني بالسُّور حائطًا بين أهل الجنة والنار ... في الآخرة يُفتَحُ لهم باب في جهنَّم من الجنة ... وعن قطرب قال: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:15] أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء، وكذلك (سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ) [التوبة:76]، و(وَمَكَرُوْا وَمَكَرَ اللهُ) [آل عمران:54]، و(جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ) [الشورى:40]، هي من المبتدِي سَيِّئةٌ ومن الله جزاءٌ ...

---

[32] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (188/4).

[33] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (671/5).

[34] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (164/9-165).

وكذلك قوله: (نَسُوْا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) [التوبة:67] ... فتأويل قوله: (يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء:42]، أي: يُفسِدُون ما يُظهرُون من الإيمانِ بما يُضمِرُون من الكفر، وهو خادعهم، أي يُفسِدُ عليهم نِعَمَهُمْ في الدنيا بما يصيِّرهم إليهِ من عذاب الآخرة ... (وَمَكَرُوْا وَمَكَرَ اللهُ) [آل عمران:54] المكر من الله الاستدراج لا على مكر المخلوقين ... (فَاليَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوْا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) [الأعراف:51]، يقول: نتركهم في النار كما تركوا لقاء يومهم هذا"[35].

المطلب الثاني: كلام القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ): وهو من الأشاعرة قد بثَّ مذهبَه في صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن في (كتاب الأفعال: أفعال الله عز وجل) فقال في صفة الغضب: "قوله تعالى: (غَيْرِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) [الفاتحة:7] قد بيَّنَّا في كتاب (الأمد) وغيرِه أنَّ وصفَ الباري تعالى بالغضب يرجعُ إلى الإرادة تارةً، فيكون من صفاتِ الذَّات، وإلى الفعلِ تارةً، فإذا قلنا إنَّ معنى غَضِبَ عليهم أراد عقوبتهم عاد إلى صفاتِ الذَّات، كقوله: (غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ) [الفتح:6]، وإذا عاد إلى الفعل كان معناه عاقبَهم، ويكون من باب تسمية الشيءِ باسمِ فائدته وثمرته، كقوله تعالى: (وَبَاءُوْا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) [البقرة:60]"[36].

وقال في صفة فعل الاستهزاء: "قوله تعالى: (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) [البقرة:14] فيه قولانِ: أحدهما: يُجَازيهم ... الثاني: أنْ يُخَلِّيهم وما هم فيه من الكفر مع اعتقادهم أنَّه حقٌّ وعاقبتِهم من العذاب خلاف ما يتوهَّمون من الثواب، فسمَّى ذلك استهزاءً إتباعًا"[37].

وقال في صفة فعل الاستحياء: "قوله تعالى: (إِنَّ لَا يَسْتَحِيِيْ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا) [البقرة:25] معنى يستحيي: يترك؛ لأنَّ ثمرة الحياء الترك، وبذلك صار من الإيمان، فعبَّر بهِ عنهُ مجازًا بديعًا، وفي الحديث: ((فاستحيا فاستحيا الله منه))، قال علماؤنا: معناه: ترك إذايَة الناسِ بتخطِّيهم، فترك اللهُ عقابَه وادَّخر ذلك درجةً لهم"[38].

وقال في صفة فعل النسيان: "قوله تعالى: (فَاليَوْمَ نَنْسَاهُمْ) [الأعراف:50] لما كان السَّهوُ الذي بمعنى عدم الذِّكرِ، ووُجُودُ الغفلةِ محالٌ على اللهِ تعالى، وهو أحدُ القسيمَيْنِ المرادَيْنِ بلفظ السهو، وجبَ أنْ يكون محمولًا على القسمِ الثاني، وهو النسيانُ بمعنى التركِ مع القصدِ"[39].

وقال في صفة فعل الكيد: "قوله تعالى: (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوْسُفَ) [يوسف:76] المعنى: أنَّ إخوته والنسوة كادُوا له، وكِدْنَا نحنُ له، والكيدُ فعلٌ يوجد على مقصِد يُخالفُ ظاهرَ القصدِ بهِ"[40].

المطلب الثالث: كلام أبي بكر الرازي (ت604هـ): وهو من المتكلِّمين، ذكر في أوَّل تفسيره (مفاتيح الغيب) بعض المقدِّماتِ في أسماء الله وصفاته، ثمَّ ذكر قانونًا خاصًّا بصفات أفعال اللهِ في القرآن يطبقه عليها جميعها، فقال: "اعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى، ونحن نعد منها صورًا، فأحدها: الاستهزاء، قال تعالى: (الله يستهزئ بهم) [البقرة: 15] ثم إن الاستهزاء جهل، والدليل عليه أن القوم لما قالوا لموسى عليه السلام: (أتتخذنا هزوًا قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) [البقرة:67] وثانيها: المكر، قال تعالى: (ومكروا ومكر الله) [آل عمران:54] وثالثها: الغضب قال تعالى: (وغضب الله عليهم) [الفتح:6] ورابعها: التعجب، قال تعالى: (بل عجبت ويسخرون) [الصافات:12] فمن قرأ عجبت بضم التاء كان التعجب منسوبًا إلى الله، والتعجب عبارة عن حالة تعرض في القلب عند الجهل بسبب الشيء، وخامسها: التكبر، قال تعالى: (العزيز الجبار المتكبر) [الحشر:23] وهو صفة ذم، وسادسها: الحياء، قال تعالى: (إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوْضَةً) [البقرة:26] والحياء عبارة عن تغير يحصل في الوجه والقلب عند فعل شيء قبيح.

واعلم أن القانون الصحيح في هذه الألفاظ أن نقول: لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية، وآثار تصدر عنها في النهاية، مثاله أن الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فإذا سمعت الغضب في حق الله تعالى فاحمله على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض، وقس الباقي عليه"[41].

---

[35] كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي (436/2، 437، 438، 439، 441، 443، 444).

[36] كتاب الأفعال (أفعال الله عز وجل)، لابن العربي (ص81). وانظر ص (310).

[37] كتاب الأفعال، لابن العربي ص (86-87).

[38] كتاب الأفعال، لابن العربي ص (89).

[39] كتاب الأفعال ص (ص173). وانظر ص (263).

[40] كتاب الأفعال، لابن العربي ص (212).

[41] تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير مفاتيح الغيب، للرازي (159/1-160).

المطلب الرابع: كلام الطاهر بن عاشور (ت1393هـ): قال عند تفسير سورة الفاتحة في بيان صفة الغضب عند قول الله تعالى: (غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) [الفاتحة:7]: "والغضب المتعلق بالمغضوب عليهم هو غضبُ اللّهِ. وحقيقة الغضب المعروف في الناس أنه كيفية تعرض للنفس يتبعها حركة الروح إلى الخارج وثورانها فتطلب الانتقام، فالكيفيةُ سبب لطلب الانتقام وطلب الانتقام سبب لحصول الانتقام. والذي يظهر لي أن إرادة الانتقام ليست من لوازم ماهية الغضب بحيث لا تنفك عنه ولكنها قد تكون من آثاره، وأن الغضب هو كيفية للنفس تعرض من حصول ما لا يلائمها فتترتب عليه كراهية الفعل المغضوب منه وكراهية فاعله، ويلازمه الإعراض عن المغضوب عليه ومعاملتُه بالعُنف وبقطع الإحسان وبالأذى وقد يفضي ذلك إلى طلب الانتقام منه فيختلف الحد الذي يثور عند الغضب في النفس باختلاف مراتب احتمال النفوس للمنافرات واختلاف العادات في اعتبار أسبابه، فلعل الذين جعلوا إرادة الانتقام لازمة للغضب بنَوا على القوانين العربية.

وإذْ كانت حقيقة الغضب يستحيل اتصاف الله تعالى بها وإسنادُها إليه على الحقيقة للأدلة القطعية الدالة على تنزيه الله تعالى عن التغيرات الذاتية والعرضية، فقد وجب على المؤمن صَرف إسناد الغضب إلى الله عن معناه الحقيقي، وطريقةُ أهل العلم والنظر في هذا الصرف أن يصرف اللفظ إلى المجاز بعلاقة اللزوم أو إلى الكناية باللفظ عن لازم معناه فالذي يكون صفة لله من معنى الغضب هو لازمه، أعني العقاب والإهانة يوم الجزاء واللعنة أي الإبعاد عن أهل الدين والصلاح في الدنيا أو هو من قبيل التمثيلية.

وكان السلف في القرن الأول ومنتصفِ القرن الثاني يمسكون عن تأويل هذه المتشابهات لما رأوا في ذلك الإمساك من مصلحة الاشتغال بإقامة الأعمال التي هي مراد الشرع من الناس فلما نشأ النظر في العلم وطَلَبُ معرفة حقائق الأشياء وحدَث قول الناس في معاني الدين بما لا يلائم الحق، لم يجد أهل العلم بداً من توسيع أساليب التأويل الصحيح لإفهام المسلم وكبت الملحد، فقام الدين بصنيعهم على قواعِده، وتميز المخلص له عن ماكِره وجاحده. وكلٌّ فيما صنعوا على هُدى. وبعد البيان لا يُرْجَع إلى الإجمال أبداً. وما تأوَّلوه إلا بما هو معروف في لسان العرب مفهوم لأهله.

فغضَبُ الله تعالى على العموم يرجع إلى معاملته الحائدين عن هديه العاصين لأوامره ويترتب عليه الانتقام وهو مراتب أَقصاها عقاب المشركين والمنافقين بالخلود في الدرك الأسفل من النار"[42].

المبحث الخامس: مذهب المخالفين لأهل السنَّة والجماعة في أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم وردُّ أهلِ السنَّة مذهبَ المخالفين:

في هذا المبحث سأسوقُ مُجمَلَ مذهبِ مخالفي أهل السنة والجماعة في آيات صفات الله تعالى المقيَّدة، وردّ أهل السنة مذهبهم.

قال الكرمي الحنبلي: "ومذهب الخلف قالوا: ... والاستهزاء من العبثِ والسخرية، والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك، فمعنى: (يستهزئُ بهم) [البقرة:15] أي: يُجَازيهم على استهزائهم، وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام، كـ (جزاءُ سيِّئةٍ سَيِّئَةٌ مثلُها) [الشورى:40]، (نَسُوا اللهَ فنسيَهُم) [التوبة:67]، أو المعنى: يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال، وأمَّا في الآخرة فيُرْوَى: أنَّه يُفتَح لأحدهم بابٌ إلى الجنَّة فيُسرِع نحوَه، فإذا صار إليهِ سُدَّ دُونَه، ثُمَّ يُفتَح له بابٌ آخرُ فإذا أقبلَ إليهِ سُدَّ دُونَه ... والمكر في الأصل: حيلةٌ يُتوصَّلُ بها إلى مضرَّةِ الغَيرِ، واللهُ مُنَزَّهٌ عنْ ذلك، فلا يُمكِنُ إسنادُهُ إليهِ سبحانه إلَّا بطريق المشاكلة ..."[43].

يقول الرازي: "جميع الأعراض النفسانيَّة، أعني: الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء ونحو ذلك، لها أوائل ولها غايات ... وعلى هذا الضابط ... فإنَّ الظاهر أنَّ هذه كلَّها في حقِّنا كيفيَّاتٌ نفسانيَّة"[44].

و**خلاصة** مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة في صفات أفعال الله المقيَّدة في القرآن الكريم "أنَّ هذه الأوصافَ كلَّها كيفيَّاتٌ وانفعالاتٌ تحدثُ في النفسِ، واللهُ مُنَزَّهٌ عنها، فتُؤخَذُ كُلُّها باعتبارِ الغاياتِ"[45].

وعليه فإنَّ المخالفين لأهل السنَّةِ والجماعة في مذهب صفات أفعال الله المقيَّدة في القرآن قد وقعُوا في أربعة أمور: أوَّلًا: التمثيل

[42] تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور (197/1).

[43] أقاويل الثقات، للكرمي ص (73).

[44] أقاويل الثقات، للكرمي (74-75).

[45] أقاويل الثقات، للكرمي ص (76).

والتشبيه. ثانيًا: النفي والتعطيل. ثالثًا: التكييف. رابعًا: التأويل؛ إذ شبَّهوا ومثَّلوا استهزاء الله تعالى وسخريته ومكره وكيده إذْ قاسُوها بأفعال خلقه من حيثُ معانيها التي تواضعُوا عليها من حيثُ هي معانٍ قائمة بذاتِ الإنسان المخلوق.

وآلَ مذهبُ المخالفين بسببِ تشبيهِهم أفعالَ الله بأفعال خلقه إلى نفيِ التشبيهِ والتمثيل فوقعُوا في نفيِهَا وتعطيلها عن معناها الذي أرادَه الله وأثبتَه لنفسه، وهذا من الإلحادِ الذي ذكرَه الله تعالى في أسمائه إذ قال: (وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوْهُ بِهَا وَذَرُوْا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْ أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ) [الأعراف:180]، قال ابن سعدي في تفسيرها: "وحقيقة الإلحاد: الميل بها عمَّا جُعِلَتْ له، إمَّا بأن يُسَمَّى بها مَنْ لا يستحقُّها كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإمَّا بنفي معانيها وتحريفها وأنْ يُجعَل لها معنًى ما أرادَه اللهُ ولا رسولُه، وإمَّا أنْ يُشَبَّه بها غيرُها"[46].

فكما أنَّ للخالقِ استهزاءً وسخريةً ومكرًا وكيدًا يليقُ بهِ فكذلك للمخلوقِ ما يليقُ بهِ من تلك الصفات، وعليه فاستهزاء وسخرية وكيد ومكر الله تعالى لا كاستهزاء وسخرية ومكر وكيد المخلوق؛ لأنَّ صفاتِ أفعال إنَّما يتصف بها القديم وهو الله تعالى، ولا تكون كصفات المخلوقين المحدثين[47].

كما آل أمرُ المخالفين إلى وقوعهم في التكييف؛ إذْ جعلُوا لأفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن كيفيَّةً من حيثُ هي كيفيَّاتٌ وأعراضٌ نفسانيَّة لها أوائل وغايات، وهذا يمكنُ دفعُه بأنَّ الكيفيَّات والأعراض النفسانيَّة تصدقُ فيما أثبتُوه من أفعالٍ أخرى لله كالرِّضَا والمحبَّة والكرم والحِلم والشكر؛ فإنَّ ظاهرَ أفعالِ اللهِ هذهِ في حقِّ الإنسانِ كيفيَّاتٌ نفسانيَّة، والكيفيَّاتُ النفسانيَّة لا تحتاجُ إلى تعريفٍ لكونها وجدانيَّات، فكما أثبتُوا هذهِ الصفات الفعليَّة لله يلزمهم إثباتُ المكر والاستهزاء والسخرية والكيد لله تعالى، فيجب إجراء هذه الأوصافَ على ظاهرها، وهذا التعليل لا يستلزم أن يكون كذلك في حقِّه تعالى، كما أنَّ العلمَ والقدرةَ والسمعَ والبصرَ تستلزمُ من النقصِ في حقِّنا ما يجبُ تنزيهَ اللهِ تعالى عنه من جهة أنَّها أعراضٌ ونحوه[48]. وقد نقل البخاري عن الفضيل بن عياض دفع الكيفيَّة عنِ الله؛ لأنَّه تعالى قد وصفَ نفسَه، فلا صفةَ أبلغُ ممَّا وصفَ بهِ نفسَه، فهذا الاستهزاء والمكر والكيد وهذه السخرية تكونُ كلُّها في مقابل ما يفعلُه أعداؤه وأعداء الرسل والمنافقون، فليس لنا أنْ نتوهَّم كيفَ وكيفَ[49].

ويقول أهل السنَّة والجماعة في الردِّ على مَنْ خالفَهم في أفعال الله بأنَّ جميع ما يلزمون به في الاستهزاء والسخرية والكيد والمكر ونحوها والتشبيه يلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم، فكما لا يجعلونها أعراضًا، كذلك نحنُ لا نجعلها جوارح، ولا ما يُوصَفُ بهِ المخلوق[50].

وأمَّا الأمر الرابع الذي آلَ إليهِ مذهب المخالفين فهو التأويل؛ إذ عقولُهم لمْ تتصوَّرْ حقيقةَ معاني أفعال الله المقيَّدة إذ هي أفعالُ نقصٍ، فوجدُوا مندوحتَهم في التأويل؛ فلوَوْا أعناقَ النصوصِ بوضعِ دلالةٍ جديدةٍ فرارًا من الوقوع في التمثيل أو النفي أو التكييف، فقالُوا إنَّ "الاستهزاءَ من باب العبثِ والسخرية، والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك، فمعنى (يَسْتَهزِئُ بِهِمْ)، أي: يُجَازيهم على استهزائهم، وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام ... أو المعنى: يعاملهم معاملة المستهزئ، أمَّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال، وأمَّا في الآخرة فيُروَى أنَّه يُفتَح لأحدهم بابٌ إلى الجنة فيسرع نحوَه، فإذا صار إليه سُدَّ دُونَه، ثم يفتح له بابٌ آخرُ فإذا أقبل إليه سُدَّ دُونَه. والمكرُ في الأصلِ حيلةٌ يُتوَصَّل بها إلى مضرَّة الغير، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك، فلا يُمكِنُ إسنادُه إليهِ سبحانَه إلَّا بطريقِ المشاكلة"[51].

فيُقَال لهم: يمكنُ إثبات صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن من الاستهزاء والسخرية والمكر والكيد ونحوها بنظير ما أثبتُّم من العقليَّات، فكما يُقَال: نفعَ اللهُ العبادَ بالإحسانِ إليهم فدلَّ

---

[46] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (595/2).

[47] انظر التدمرية، لابن تيمية ص (32، 33).

[48] انظر أقاويل الثقات، للكرمي ص (75).

[49] انظر: خلق أفعال العباد، للبخاري ص (14)، وأقاويل الثقات، للكرمي ص (76).

[50] انظر أقاويل الثقات، للكرمي ص (77).

[51] أقاويل الثقات، للكرمي ص (72).

ذلك على صفة رحمة الله، وإكرامه الطائعين دلَّ على صفة محبته لهم، وعقابه الكافرين دلَّ على صفة بغضه لهم، فكما ثبت بالشاهد والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته دالَّة على حكمته البالغة[52]، فـ "القولُ في الصفات كالقول في الذات، فإنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ، لا في ذاتِهِ، ولا في صفاتِهِ، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذاتٌ حقيقةٌ لا تماثلُ الذوات، فالذاتُ متصفةٌ بصفات حقيقةٍ لا تماثلُ صفاتِ سائرِ الذوات"[53].

وعليه فمذهب أهل السنَّة والجماعة إجراء آيات الصفات على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وإثباتها لفظًى ومعنًى، واعتقادهم أنَّها على الحقيقة لا على المجاز، وأنَّ لها معانيَ حقيقيَّةً تليق بجلال الله وعظمته[54].

الخاتمة

في ختام هذا البحث أسجِّلُ جملة من النتائج التي خلص إليها البحث، وجملة من التوصيات التي يوصي بها الباحث، وهي على النحو الآتي:

أوَّلًا: النتائج:

1- إنَّ بابَ صفاتِ الله من الأبواب التي كَثُرَ فيها الأقاويل، وتباينتْ فيها الفِرَقُ فيما سواه من الأبواب.

2- إنَّ مذهبَ السَّلفِ هو أسْلَمُ وأحكمُ المذاهبِ التي بحثتْ بابَ الصفاتِ من حيثُ قواعدُهُ وأصولُهُ وسلامتُهُ من الردِّ والدفعِ والانتقاد، وأنَّ مذاهبَ مَنْ سواهم من الجهميَّة والمعطِّلة والمعتزلة والأشاعرة وأهل الكلام وغيرهم عُرْضَةٌ للنقد والردِّ والدَّفعِ بلا طائل.

3- إنَّ بابَ صفاتِ أفعالِ اللهِ المقيَّدةِ في القرآنِ الكريمِ منضبطةٌ عندَ أهلِ السنَّةِ والجماعة بضابطِ الموردِ الزلال وهو القرآنُ الكريمُ، مُنَزَّلةٌ تنزيل الأصول العامَّة والقواعد الثابتة، وهي: الإثبات وفقَ الدليل والنص، من غير تشبيهٍ، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تأويل متكلِّفٍ مُخْرِجٍ لدلالة النصِّ عنْ مقتضاها وشواهدها وقواعدها.

4- إنَّ صفاتِ اللهِ تعالى من حيثُ الإجمال مبنيَّةٌ على البابِ العامِّ في الإثباتِ من حيثُ نصوصُها، وأنَّها كمالٌ مطلقٌ، وأنَّ صفاتِ أفعالِ اللهِ تعالى من حيثُ التفصيل منها المقيَّدة؛ إذْ لا يمكنُ إثباتُها إثباتًا مطلقًا وإنَّما إثباتها مبنيٌّ على التفصيل؛ إذْ هي كمال بحالِ الكمال ونقصٌ بحال، ولذا فإنَّ إثباتها مبنيٌّ على المقابلة.

5- إنَّ صفاتِ أفعال الله تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم لا يمكنُ بحالٍ نفيُها؛ إذْ نفيُها مُفْضٍ إلى التشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل.

6- إنَّ إثباتَ صفاتِ اللهِ تعالى المقيَّدة في القرآن الكريم من إثباتِ صفاتِ أفعاله في الجملة، ولكنْ إثباتٌ يليقُ باللهِ تعالى؛ إذْ هو الخالقُ – سبحانه – لا يُشْبِهُ المخلوقين لا في ذاته ولا في أفعاله، فما أثبتَه لنفسه في القرآن نثبتُه وما نفاهُ ننفيهِ، وذلك من العدلِ.

ثانيًا: التوصيات:

1- توصي الباحثة بمزيدِ البحثِ في بابِ صفاتِ أفعاله؛ لأنَّه بابٌ ضلَّتْ فيه كثيرٌ من الفِرَقِ ولمْ يسلمْ إلَّا أهلُ الحقِّ أهلُ السنَّةِ والجماعة، وذلك من خلال الآتي:

أ- جمع شتات أسماء الفرق مخالفي أهل السنة في صفات أفعال الله المقيَّدة في القرآن الكريم.

ب- جمع نصوص المخالفين من كتبهم؛ لأنَّ ذلك أقوى لإثبات مخالفتهم، وفي بيان المحجَّة.

---

[52] انظر التدمرية، لابن تيمية ص (34).

[53] التدمرية، لابن تيمية ص (43).

[54] انظر مجموع الفتاوى، لابن تيمية (113/5)، (177/33).

ج- تحرير مواضع النزاع بينهم وبين أهل السنة في باب صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة تحريرًا مفصَّلًا، لا مجملًا كما في هذا البحث.

د- توسيع مادَّة البحث في صفات أفعال الله تعالى المقيَّدة؛ وذلك بعدم اقتصاره على القرآن؛ ليشمل القرآن والسنَّة النبويَّة وآثار السَّلف.

2- توصي الباحثة بتتبُّعِ كلامِ السلف والخلف من أهل السنة والجماعة واستقرائه في باب صفاتِ أفعال اللهِ؛ قدْ زلَّتْ قدمُهُ، واغترَّ بمقالاتِ أهلِ البِدَعِ والفِرَقِ، فأعجبَهُ رَوْنَقُ عباراتهم ممَّا أوقعَه في شَرَكِ مقالاتهم وانجرَّ إلى القول بأقاويلهم، ولا سيَّما المفسرون منهم وأهل الحديث؛ فإنَّ لهم مقالاتٍ تُشْبِهُ مقالاتِ المعتزلة في نفيِ صفاتِ أفعاله المقيَّدة في القرآن، ولهم مقالاتٌ أشبهتْ مقالاتِ المتكلِّمين والأشاعرة من حيثُ الجملة، فالبحثُ في ذلك سينفضُ غُبارَ ما عَلِقَ بعباراتِ أهلِ السنَّةِ في باب صفاتِ أفعاله سبحانه المقيَّدة في القرآن الكريم وفحصها، فمَنْ نظر في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب أقاويل الثقات في تأويل الصفات، للكرمي، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، للمغراوي يجدْ خبرَ ذلك التأثُّر.

3- توصي الباحثة بدراسة أسبابِ تأثُّرِ بعضِ كتبِ تفسيرِ أهل السنَّة والجماعة بمقالاتِ أهل البدع والفرقِ المخالفة في باب صفاتِ أفعال الله المقيَّدة في القرآن الكريم؛ فقد ذكر المغراوي في كتابه المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، أن بعضَ السلف من أهل السنة والجماعة عند تفسير بعض آيات صفات أفعال الله تعالى، كالطبري والبغوي قد عمدا إلى نقل أقاويل غيرهم من النفاة المخالفين، فيذكرون أقوالهم من غير الإشارة إلى مخالفته، ممَّا يَهِمُ القارئ أنَّ هذا الذكر مظنَّة الموافقة للسلف، والحقُّ بخلافه.

المصادر والمراجع:

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد، مكتبة دار البيان، دمشق، ط3، 1421هـ - 2000م.
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهميَّة والمشبهة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد بن الأمين بن محمد الشنقيطي، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن القيم، مكتبة الكليات الأزهرية،القاهرة،بدون رقم الطبعة،1968م.
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشبهات، زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ - 1985م.
- بدائع الفوائد، أبوعبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق علي العمران،دار عالم الفوائد،مكة المكرمة،ط1، 1994م.
- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد آل مهدي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، 1413هـ.
- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط6، 1421هـ-2000م.

- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، بدون رقم الطبعة، 1409م.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم الطبعة، 1984م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ – 1981م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ – 1997م.
- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، بدون رقم الطبعة، 2003م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ – 2001م.
- الحجة في بيان المحجة وعقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الجزء الأول، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، دار الراية، بدون بلد الطبع، ولا رقم الطبعة، ولا عامها.
- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، محمدبن إسماعيل البخاري،مؤسسةالرسالة، بيروت، ط3،1411هـ– 1990م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، الرياض، ط2، 1411هـ – 1991م.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية، محمد الهراس، دار الاعتصام، القاهرة، ط4، بدون تاريخ.
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل الصابوني، حققه وخرج أحاديثه أبو اليمين المنصوري، دار المنهاج، القاهرة، ط1، 1423هـ – 2003م.
- القدر المشترك في معاني الصفات بين أهل السنَّة ومخالفيهم، عبدالرحمن بن عايد القصيّر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1427هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1433هـ.
- كتاب الأسماء والصفات، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، الرياض، بدون رقم الطبعة، 1991م.
- كتاب الأفعال (أفعال الله عزوجل)، القاضي أبوبكر بن العربي المعافري الإشبيلي، تقديم وتحقيق نبيلة الزكري وإكرام بولعيش، دار الأمان، الرباط، ط1، 1438هـ – 2017م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، مجمه الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، بدون رقم الطبعة، 1425هـ – 2004م.

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار محمد بن الموصلي، قرأه وخرّج نصوصه وعلق عليه د. الحسن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط1، 1425هـ – 2004م.
- المفسِّرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد المغراوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ–2000م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط2، 1402هـ – 1982م.
- نعمة الذريعة في نصرة الشريعة، إبراهيم الحلبي الحنفي، تحقيق علي رضا بن عبدالله، دار المسير، الرياض، ط1، 1419هـ – 1998م.

List of Sources and References:

1. Al-Asbahani, Ismail: The Argument in the Explanation of the Proof and the Creed of Ahl as-Sunnah, Dar Al-Raya.
2. Al-Bukhari, Muhammad (1990): Creating the actions of the servants and responding to the Jahmiyyah and the owners of the disruption, Beirut: Al-Risala Foundation.
3. Al-Baghawi, Al-Hussain (1409): Interpretation of Al-Baghawi (Maims of Downloading), Riyadh: Dar Taiba.
4. Al-Bayhaqi, Abu Bakr (1991): The Book of Names and Attributes, Riyadh: Al-Sawadi Library.
5. Ibn Taymiyyah, Ahmed (2000): Al-Tadmuriyyah: A Realization of Proof of Names and Attributes and the Reality of Combining Predestination and Sharia,Riyadh:Al-Obaikan Library.
6. Ibn Taymiyyah, Ahmad (1411): Warding off the conflict of reason and transmission, Riyadh: Department of Culture at Imam University.
7. Ibn Taymiyyah, Ahmad (1415): Total Fatwas, Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur’an.
8. Al-Hanafi, Ibrahim (1998): The blessing of the pretext in support of the Sharia, Riyadh: Dar Al-Masir.
9. Al-Dosari, Faleh (1413): Al-Tuhfa Al-Mahdiyya, Explanation of the Palmyrene Creed, Al-Madinah Al-Munawwarah: Islamic University Press.
10. Al-Razi, Muhammad (1401): Interpretation of Al-Razi (The Keys to the Unseen), Beirut: Dar Al-Fikr.
11. Al-Saadi, Abdul Rahman (2003): Tayseer Al-Karim Al-Mannan in the interpretation of the Qur’an, Riyadh: Dar Ibn Al-Jawzi.
12. Al-Saffarini, Muhammad (1982): Luminaries of splendid lights and luminaries of archaeological secrets to explain the shining pearl in the contract of the sick band, Damascus: Al-Khafiqin Foundation.
13. Al-Shanqiti, Muhammad (1426): Lights of the statement in clarifying the Qur’an with the Qur’an, Makkah Al-Mukarramah: Dar Alem Al-Fawa’id.
14. Al-Sabouni, Ismail (2003): The Creed of the Salaf and the Companions of Hadith, Cairo: Dar Al-Minhaj.
15. Al-Tabari, Muhammad (2001): Jami’ Al-Bayan on Interpretation of the Verse of the Qur’an, Cairo: Hajar House for Printing and Publishing.
16. Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, (1984): Interpretation of Liberation and Enlightenment, Tunis: Tunisian House.
17. Al-UthaymeenMuhammad (1433): The Optimal Rules in the Attributes of God Almighty and His Most Beautiful Names, Riyadh: Madar Al-Watan for Publishing.
18. Ibn al-Arabi, Abu Bakr (2017): The Book of Actions (The Actions of God Almighty), Rabat: Dar al-Aman.
19. Ibn Qutayba, Abdullah (1405): The difference in pronunciation and the response to the Jahmiyyah and the Mushabihah, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
20. Ibn Al-Qayyim, Muhammad (2000): The Meeting of the Islamic Armies on the Invasion of Al-Ma’talah and the Jahmiyyah, Damascus: Dar Al-Bayan Library.
21. Ibn Al-Qayyim, Muhammad (1968): Informingthe Signatories about the Lord of the Worlds, Cairo:Al-AzharColleges Library.

22. Ibn Al-Qayyim, Muhammad (1994): Badaa’ Al-Fawa’id, Makkah Al-Mukarramah: Dar Alam Al-Fawa’id.
23. Al-Qusayr, Abd al-Rahman (1428): The Common Destiny in the Meanings of Attributes between Ahl al-Sunnah and their opponents, Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qura University (Master’s Thesis).
24. Ibn Kathir, Ismail (1999): Interpretation of the Great Qur’an, Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution.
25. Al-Karmi, Marei (1985): Trustworthy Sayings in the Interpretation of Names, Attributes, and Verses, which are decisive and suspicious, Beirut: Al-Risala Foundation.
26. Al-Maghrawi, Muhammad (1420): Interpretersbetween interpretation and affirmation in the verses of the Attributes, Beirut: Foundation of the Resala.
27. Al-Mawsili, Muhammad (2004): The summary ofthe thunderbolts sent on the Jahmiyyah and the Mu’talat by Ibn Al-Qayyim, Riyadh: Adwa’ Al-Salaf Library.
28. -Al-Haras, Muhammad: Explanation of the Wasitiyya Creed by Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah, C